ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 06، العدد: 02 (2021) ص: 139 – 147

صورة المثقف في سيرة إدوارد سعيد الذاتية

The image of the intellectual in the biography of Edward Said

عدة بن عطية حاج*
جامعة تلمسان (الجزائر)
hadj.addabenattia@gmail.com

أ.د عبد الكريم لطفي
جامعة تلمسان (الجزائر)
lotfi.abdelkarim13@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2021 /05 /06
تاريخ القبول:
2021 /09 /02

الكلمات المفتاحية:
- ✓ السيرة الذاتية
- ✓ إدوارد سعيد
- ✓ صورة المثقف
- ✓ خارج المكان

الملخص:

حاولنا في هذا البحث، ومن خلال سيرة إدوارد سعيد الذاتية، أن نرسم ملامح صوره كمثقف يحاول أن يقيم جسور التواصل بين ثقافتين متناقضتين: الأولى ثقافة عربية مسيحية أرثوذكسية والثانية ثقافة أمريكية أنجلوساكسونية لذلك شعر بأنّه خارج المكان فحاول أن يعثر على هويته المبعثرة بين هاتين الثقافتين المتناقضتين ويقدّمها للقارئ في حلّة جديدة يعروها التّوافق والانسجام.

Article info

Received 06/05/2021
Accepted 02/09/2021

Keywords:
- ✓ *Biography*
- ✓ *Edward Said*
- ✓ *The image of the intellectual*
- ✓ *Out of place*

Abstract :

We tried this research and through the biography of Edward Said To draw the features of his image as an intellectual He tries to establish bridges of communication between two contradictory cultures The first is an Arab, Christian Orthodox culture, and the second is an Anglo-Saxon American culture Therefore, he felt that he was out of place and tried to find his identity scattered between these two contradictory cultures And he presents it to the reader in a new way that they define compatibility and harmony

* **المؤلف المرسل:** عدة بن عطية حاج

مقدمة

يعتبر إدوارد سعيد (1935-2003) من أهم المفكرين الذين ساهموا بقلمهم ومحاضراتهم في النقد الحضاري والأدب والنقد الثقافي،كما اهتم أيضا بنقد الاستشراق عند الغرب وقدّم رؤيته الثقافية والحضارية حوله، وأثّرت حول الاستشراق في الأدب والنقد وفي العلوم الإنسانية قاطبة، ويعدّ سعيد مفكّرا عامّا لأنّه اهتم في كتبه ومحاضراته وفي أحاديثه ومقالاته في الصحف والمجلات بالسياسة والثقافة والفنّ والأدب وكان يعتزّ بشخصيته كمقدسي حتّى وهو في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان بارعا في العزف على آلة البيانو، كتب سيرته الذاتية (خارج المكان) سنة 1999 عندما أصيب بمرض اللوكيميا، حاول من خلال كتابتها مقاومة المرض الذي نخر جسده لقد كتب عن حياته كمثقف عاش في فلسطين وفي مصر وفي الولايات المتحدة الأمريكية، لقد رسم في سيرته الذاتية ملامحه الفكرية كمثقف حضاري وثقافي وفنّي وأدبي، والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا جميعا وهو كالآتي: كيف صوّر إدوارد سعيد شخصيته الفكرية من خلال سيرته الذاتية ؟ وهل كان يملك صورة فكرية لشخصيته أم أنّ شخصيته جمعت أنماطا شتّى من الصور؟ هذا ما سنعرفه من خلال تفكيكنا لشخصيته من خلال سيرته الذاتية.

قبل الشروع في الإجابة على الإشكاليتين علينا أن نعرّف الصورة والمثقف والسيرة الذاتية:

1. مفهوم الصورة

يعرّفها الباحث سعيد علّوش بأنّها "تمثيل بصري لموضوع ما" (علوش، 1985، صفحة 136) يعني هي رسم بالكلمات لموضوع ما أو شخصية ما.

2. تعريف المثقف

يجب أن يكون صاحب رسالة وله الجرأة في طرحه لأفكاره ومواجهة منتقديها، يقول إدوارد سعيد :"وما أقول به هو أنّ المثقفين أو المفكرين أفراد لهم رسالة، وهي رسالة فن تمثيل شيء ما، سواء كانوا يتحدّثون أو يكتبون أو يعلّمون الطّلاب أو يظهرون في التليفزيون، وترجع أهمية هذه الرسالة إلى إمكان الاعتراف بها علنا، وإلى أنّها تتضمن الالتزام والمخاطرة في الوقت نفسه، وكذلك الجسارة والتّعرض للضرر." (سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة وتقديم: محمّد عناني، 2006، صفحة 45) لأنّ المثقف صاحب قضية ولابدّ أن يلتزم بالدفاع عنها في مجتمعه.

3. تعريف السيرة الذّاتية

هي عبارة عن أدب غير متخيّل ويعرّفها فيليب لوجون بأنّها"حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته." (لوجون، 1994، صفحة 08) وكاتب السيرة الذاتية يفتح حوارا متبادلا مع القارئ فهو قريب من قلوبنا "لأنّه إنّما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدّثنا عن دخائل نفسه وتجارب

حياته، حديثا يلقى منّا أذنا واعية، لأنّه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، ويوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسراره وخباياه، وهذا شيء يبعث فينا الرضى..." (عبّاس، 1992، الصفحات 93-94)و كاتب السيرة الذاتية يريد من وراء الكتابة الرغبة في الخلود وتسجيل اسمه في سجّل التاريخ الإنساني تقول الباحثة تهاني عبد الفتّاح شاكر مايلي:"إنّ من أبسط الأمور التي تدفع الإنسان إلى كتابة سيرته الذاتية، رغبته الفطرية بالخلود، وهذه الرغبة تشتد عنده عندما يشعر بالتفرّد والتميّز، ففي هذه الحالة يقوى إحساسه بأنّه إنسان يستحقّ البقاء،و كذلك تشتد رغبته بالخلود، إذا شعر بدنوّ أجله،وقد يتولد عنده ذلك الشعور لأسباب مبهمة أو لإصابته بالمرض مثلا." (شاكر، 2002، صفحة 25) وخير من يمثّل ذلك إدوارد سعيد من خلال تدوينه لسيرته الذاتية.

4. التعريف بسيرته الذاتية (خارج المكان)

هي عبارة عن مذكرات شخصية وهي تعتبر شكلا من أشكال التعبير في السيرة الذاتية كتبها وهو خارج فلسطين عندما ألمّ به المرض سنة 1999 وهو مقيم بالولايات المتحدة الأمريكية، يقول سعيد مانصّه: "هذا الكتاب هو سجّل لعالم مفقود أو منسيّ، منذ عدّة سنوات، تلقيت تشخيصا طبيّا بدا مبرما، فشعرت بأهمية أن أخلّف سيرة ذاتية عن حياتي في العالم العربي، حيث ولدت وأمضيت سنواتي التكوينية، كما في الولايات المتحدة حيث ارتدت المدرسة والكلية والجامعة، العديد من الأمكنة والأشخاص التي استذكرها هنا لم تعد موجودة، على الرغم من أنّي أندهش باستمرار لاكتشافي إلى أيّ مدى أستبطنها، وغالبا بأدقّ تفاصيلها بل بتشخيصاتها المروّعة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 22) حاول مقاومة المرض من خلال الكتابة عن حياته الفكرية الطافحة بالذكريات السعيدة والأليمة، وغربة المكان والزمان هي التي جعلته يكتب سيرته الذّاتية، يقول سعيد: "غير أنّ الدافع الرئيسي لكتابة هذه المذكرات هو طبعا حاجتي إلى أن أجسّر المسافة، في الزمان والمكان، بين حياتي اليوم وحياتي بالأمس، أرغب فقط في تسجيل ذلك بما هو واقع بدهيّ دون أن أعالجه أو أناقشه، علاوة على أنّ انكبابي على مهمة إعادة تركيب زمن قديم وتجربة قديمة قد استدعى شيئا من البعاد ومن السخرية في الموقف والنبرة." (سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة وتقديم: محمّد عناني، 2006، صفحة 22) وهو صادق فيما يقول لأنّه عرّى شخصيته بكلّ تناقضاتها وقدّمها أمام القارئ بكلّ صراحة وبكلّ حريّة، يقول سعيد: "فأنا وحدي مسؤول عمّا أستذكر وأتصوّر، لا أفراد من الماضي قد يجهلون الأثر الذي مارسوه عليّ. وأرجو أن يكون واضحا أيضا أنّي، بصفتي راوي هذه السيرة وواحدا من شخصياتها، لم أعف نفسي قصدا من السخرية ولا من الروايات المحرجة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 23) لأنّ السيرة الذاتية تتطلب الولوج إلى الطابوهات وإلى المسكوت عنه في المجتمع. لقد رسم سعيد ملامح صورته كمثقف في سيرته الذاتية وفي كتاباته الفكرية وسنرصد البعض منها من خلال بحثنا هذا المتواضع وهي كالآتي:

1.4. صورة المثقف المغترب

لقد شعر بغربة فكرية لأنّه كان يعيش بين ثقافتين (عربية وغربية) وحاول التوفيق بينهما قدر المستطاع، يقول سعيد: "والمثقف الذي يعتبر نفسه جزءا من نظام عام تخضع له الجالية القوميّة النازحة لن يكون على الأرجح مصدرا للتأقلم والتكيّف الثقافي بل مصدرا للقلقلة والبلبلة وزعزعة الاستقرار." (سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة وتقديم: محمّد عناني، 2006، صفحة 97) وعدم الاستقرار يجعله يشعر

بالغربة الفكرية والتي حاول مجاهدتها من خلال الكتابة التي أضحت سلاحه الوحيد، يقول سعيد: "ولقد امتلكني هذا الشعور المقلق بتعدّد الهويات – ومعظمها متضارب – طوال حياتي، ورافقته ذاكرة حادة أنّي كنت أتمنى بشكل محموم لو أنّنا جميعا عرب كاملون أو أوروبيون أو أميركيون كاملون أو مسيحيون أرثوذكسيون كاملون أو مسلمون كاملون أو مصريون كاملون وما إلى ذلك." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، الصفحات 27-28) إنّها هويات متعددة في مجتمع كالولايات المتحدة الأمريكية جعلته يعيش خارج المكان، والموسيقى هي التي جعلته يخرج من دائرة الاكتئاب، يقول سعيد: "وكنت أحبط بالتأكيد، وأكتئب، في غالب الأحيان، للسرعة التي تأتي بها مثل تلك الغبطة النادرة وتروح، وللوقت الذي قضيته لاحقا ساعيا لاستعادتها بل ولتكريسها بالبحث عن كتب ومقالات وبشر تحدّثني عنها، وتؤكّد لي حقيقتها ومتعتها، وتحيي فيّ ما بدا أنّه على شفير الزّوال." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 139) ألا وهي نزعة التفاؤل وحبّ الحياة.

كان سعيد يشعر بغربة مزدوجة وهذا الشعور جعله يرزح تحت نير الاغتراب القسريّ، فهو عربي يبحث عن ذاته وعن هويته في مجتمع تسيطر عليه الثقافة الأمريكية، يقول سعيد: "لقد اخترت دوما ذلك الشعور بالغربة المزدوجة. فلا أنا تمكنت كليّا من السيطرة على حياتي العربية في اللغة الانجليزية، ولا أنا حقّقت كليّا في العربية ما قد توصلت إلى تحقيقه في الانجليزية. هكذا طغى على كتاباتي كمّ من الانزياحات والتغايرات والضياع والتشوه، ولكنّي كنت مدركا في الأقلّ لكلّ ذلك وقد حاولت استظهاره في مؤلفاتي." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 8) وأراد التوفيق بين ثقافته العربية وبين ثقافته الأمريكية محاولا المحافظة على شعرة معاوية.

ويرى الباحث أسعد الحسين بأن سعيدا كان تائها بين هويتين متناقضتين لذلك هو خارج المكان لذلك قال مايلي: "لقد أدرك سعيد بأنّه كان خارج المكان دائما، وقليلا ما كان في مكانه المناسب، بدأت الإشكالية مع اسمه المتناقض فالشطر الأوّل من اسمه إدوارد وهو اسم أجنبي والشطر الثاني سعيد وهو اسم عربي ولم يتصالح سعيد مع ذاته وعانى طويلا بسبب هذا التناقض، فهو يعيش في بيئة عربية عانت من الاستعمار البريطاني الكثير..." (سعيد، خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسين، 2011، صفحة 31) فالاستعمار يسلب الأشخاص هويتهم وهذا ما حاول سعيد المحافظة عليه من خلال مؤلفاته ومحاضراته.

وبالرغم من توهانه بين ثقافتين متناقضتين غير أنّه حاول أن يمدّ جسور الحوار بين هاتين الثقافتين المتناقضتين، يقول سعيد: "وآمل أن لا أبدو متبجّحا إن قلت إنّ الجديد في (إدوارد سعيد) المركّب الذي يظهر في خلال هذه الصفحات، هو عربيّ أدّت ثقافته الغربية، ويا لسخرية الأمر، إلى توكيد أصوله العربيّة، وإنّ تلك الثقافات، إذ تلقي ظلال الشكّ على الفكرة القائلة بالهوية الأحادية، تفتح الآفاق الرحبة أمام الحوار بين الثقافات." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 10) وهذا الحوار يساهم في التقريب بين الثقافات المتناقضة وجعلها تعيش في سلام وجداني تامّ.

2.4. صورة المثقف المولع بالموسيقى والأدب والفن

يرى سعيد بأن الفنّ هو العالم الموازي لواقعنا العادي "لقد اعتبر الفنّ شيئا مختلفا عن الحياة، المراد منه تدمير الواقع العادي، وخلق واقع آخر لكي يكون مفرطا وليس عاديا." (سعيد، خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسين، 2011، صفحة 130) فالفنّ الحقيقي يجعلنا نعيش حياة شاعرية حالمة يغمرها التّصوف والعرفان والوجد والذوق الراقي، لقد سحرته الموسيقى الكلاسيكية، يقول في هذا الصدد مانصّه: "وكنت قد بدأت أيضا في تذوق الموسيقى الكلاسيكية بجدية كبيرة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 62) وهو لا يزال طفلا يافعا، أمّا هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية هي التي جعلته يكتشف عوالم بتهوفن الكلاسيكية" أغنى بتهوفن، أكثر من أيّ موسيقي آخر تربيتي الذاتية الموسيقية على نحو هو الأكثر انتظاما." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 136) وهذا النظام جعله يقتحم عوالم الآداب الكلاسيكية والحديثة وأمّه هي من غرست في وجدانه حبّ أدب شكسبير يقول سعيد: "جلسنا أنا وأمّي في مقدمة غرفة الاستقبال نقرأ في (هاملت) معا، هي في كرسي كبير ذي ذراعين وأنا على متكأ إلى جانبها، وإلى يسارها نار خفيفة يتعالى دخانها في الموقدة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 80) إنّه الشّتاء الذي له طقوسه في بثّ حماس المطالعة للناشئة الذين يتطلعون إلى تذوق روائع الآداب الكلاسيكية.

كلّ هذه العوالم من موسيقى كلاسيكية وآداب كلاسيكية جعلته يلج عالم الكتابة ويتوغل في مجاهلها، ويعرض علينا سعيد فلسفته في الكتابة عندما يقول: "وهكذا فالكتابة عندي فعل استذكار، وهي، إلى ذلك، فعل نسيان، أو هي عملية استبدال اللغة القديمة باللغة الجديدة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 8) فسعيد يجيد اللعب بالكلمات عندما يريد أن يوصل فكرة معينة إلى قارئ ما.

3.4. صورة المثقف المنغلق على ذاته

كان سعيد وهو في القدس وفي القاهرة منغلقا على ذاته يعيش بعيدا عن مجتمعه الذي أكره على العيش فيه، لأنّه مفكّر حالم يريد أن يتنفس نسائم الحريّة، يقول سعيد: "قبل مغادرتي إلى الولايات المتحدة عام 1951، لم يكن والديّ قد دخلا المجتمع القاهري على نطاق واسع. فعلى الرغم من ثرائهما، ظلّت حلقة معارفهما وأصدقائهما محصورة إلى حدّ كبير في المعاونين وأفراد العائلة..." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 130) فلبنان والولايات المتحدة الأمريكية ستجعلانه يرسم هويته ووعيه لنفسه وللآخرين، يقول سعيد في هذا الصدد مانصّه: "فكلّ واحد من الأمكنة التي عشت فيها – القدس والقاهرة ولبنان والولايات المتحدة – يملك شبكة كثيفة ومركبة من العناصر الجاذبة، شكّلت جزءا عضويا من عملية نموي واكتسابي هويتي وتكوين وعيي لنفسي وللآخرين." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 22) لأنّ المكان هو الذي يصنع الإنسان ويبلور شخصيته الفكرية ويجعله يحاور الثقافات المختلفة ويقارب بينها.

وهناك مشكلة تجعل المثقف خاضعا للهيمنة الفكرية لذلك المجتمع الذي يعيش فيه، ومن هنا لابدّ من استقلالية المثقف وتحرّره من كلّ خضوع فكري لمجتمع ما، يقول سعيد: "لكن المشكلة المحدّدة للمثقف هي أنّ ثمّة جماعة لغوية موجودة أصلا في كلّ مجتمع تتحكّم فيه عادات التعبير، وأنّ إحدى وظائفها الرئيسية هي حماية الوضع الراهن، والتأكد من أنّ الأمور تجري بسلاسة ،لا تبديل فيها ولا اعتراض

عليها." (سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسّان غصن، مراجعة:منى أنيس، 1996، صفحة 41) لذلك لابدّ من الانفتاح على الثقافات الأخرى حتى تتحقّق لنا الحريّة الفكرية التي تجعل المثقف غير خاضع لأيّ سلطة فكرية مهما كانت، ويجب عليه أن يقدّم بدائل فكرية من أجل التغيير المنشود،يقول سعيد:"إنّ قول الحقّ للسلطة ليس مثالية مفرطة بالتفاؤل: إنّه تأمل حذر بالبدائل المتاحة، واختيار البديل الصحيح، ثمّ تقديمه على نحو عقلاني حيثما يمكن أن ينجح ويحدث التغيير المناسب." (سعيد، الآلهة التي تفشل دائما،ترجمة:حسام الدين خضور، 2003، صفحة 117) يجب على المثقف ألاّ يكون بوقا لأيّ سلطة فكرية مهما كان طابعها أو اتجاهها،بل عليه أن يرى الحقّ الذي يمليه عليه ضميره الإنساني.

4.4. صورة المثقف الثائر

لقد رفض سعيد كلّ أشكال الاستعمار والامبريالية العالمية، رفض احتلال القدس من طرف الانجليز أولاّ ومن طرف الصهاينة ثانيا، يقول سعيد: "ولا يزال يصعب عليّ أن أتقبّل حقيقة أنّ أحياء المدينة تلك، حيث ولدت وعشت وشعرت بأنّي بين أهلي، قد احتلها مهاجرون بولونيون وألمان وأميركيون غزوا المدينة وحوّلوها رمزا أوحد لسيادتهم، حيث لا مكان للحياة الفلسطينية التي انحسرت إلى المدينة الشرقية التي أكاد لا أعرفها، فلقد أضحت القدس الغربية الآن يهودية بالكامل، وطرد منها سكّانها السابقون نهائيا في أواسط العام 1948." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 149) كلّ هذا تمّ برعاية أمريكية جعلت القيادة الفلسطينية خاضعة للإدارة الأمريكية، يقول سعيد: "وهكذا، فإنّ ما يجري إنّما هو استمرار لسياسة ظلّت تنشط بلا انقطاع في اضطهاد وقهر وإخضاع الفلسطينيين باستخدام أساليب تتجاوز بكثير أيّ شيء تمّ اقترافه في جنوب إفريقيا إبّان حقبة النظام العنصري. إنّ هذا الأمر يحتاج إلى الإيضاح، وهو الأمر الذي لم يتمّ لأنّ القيادة الفلسطينية والكثيرين من مجتمع النخبة لا يزالون يعتقدون أنّ الطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي محاولة جلب انتباه الإدارة الأميركيّة، وهو أمر لا طائل تحته." (سعيد، الثقافة والمقاومة، حاوره: دايفيد بارساميان، ترجمة: علاء الدين أبوزينة، 2006، صفحة 76) لأنّ أمريكا تقف مع السياسة الصهيونية وتساندها وتؤيدها على مرأى ومسمع من العالم بأسره.

وقد حاول سعيد أن يقدّم تصوّره ورؤيته الموضوعية للقضية الفلسطينية، يقول وليام د.هارت مانصّه: "فمنذ البداية طرح سعيد مسألة فلسطين في إطار حقوق الإنسان الأساسية، حقوق تقرير المصير، وحرية الدين، وحرية التنقل، وحقّ المرء في مغادرة وطنه والعودة إليه. وآخر حقّين مرتبطان بحرية الانتقال ضمن الحدود القومية وعبرها." (د.هارت، 2011، صفحة 215) لأنّ فلسطين هي القلب النابض للأمة العربيّة لذلك لابدّ من الدفاع عن حوزتها.

لقد تهجم عليه كاتب يهودي حاول أن يثبت بالوثائق بأنّ سعيدا ليس فلسطينيا فكان ردّه كالآتي:"إنّ هجوم ذلك الكاتب هو هجوم مكشوف للطعن في مصداقيتي. وكانت عملية التزوير كلّها معدّة بهدف سياسيّ محدّد هو إظهار أنّه لا يمكن الوثوق بالفلسطينيين عندما يتحدّثون عن حقّ العودة. فإذا كان مثقف بارز يكذّب، فما بالك بما قد يقدم عليه الناس العاديون من أجل (استعادة) أرضهم، تلك الأرض التي لم تكن لهم أصلا؟" (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 10) لأنّهم شعب همجيّ أراد أن يبني

كيانه على أشلاء الفلسطينيين، ويرى الباحث إقبال أحمد بأنّ سعيدا حاول أن ينقض عرى العقيدة اليهودية والحركة الصهيونية وهذا" باهتمامه وبصيرته في استنفار الثقافة واستخداماتها، فقد فهم أنّ تلك الأساطير في مجموعها كانت جزءا لا يتجزأ من نظرية المعرفة الصهيونية، آلية لإضفاء الشرعية على الدولة اليهودية وكذلك لا إنسانية الحركة الصهيونية تجاه شعب قريب." (سعيد، القلم والسيف،حوارات مع دافيد بارساميان،ترجمة:توفيق الأسدي، 1998، صفحة 15) فالدولة اليهودية دولة من ورق أمّا الحركة الصهيونية فهي منظمة إرهابية تبيد شعبا بريئا متشبثا بأرضه المسلوبة.

وفي الأخير يرى سعيد أنجع طريقة لمواجهة الامبريالية والعنصرية العالمية هي العودة إلى الاستشراق ومحاولة قراءته من جديد وفق منظوره العالمي، يقول سعيد: "نعلم أنّ نقّاد الاستشراق ليسوا في حقيقة الأمر من المناهضين للامبريالية، بل في صفوف عملائها السّرّيين. الخطوة الثانية بعد هذا هي الإيحاء بأنّ أفضل سبل محاربة الامبريالية هي إمّا تحوّل المرء إلى مستشرق أو تحاشي الخوض في أية ملاحظات نقدية عن المسألة." (سعيد، تعقيبات على الاستشراق،ترجمة وتحرير: صبحي حديدي، 1996، الصفحات 47-48) لأنّ الشّرق تمثّله فلسطين مهد الحضارة العربية الإسلامية، ومن خلال ولوجنا عوالم الاستشراق نستطيع أن نقاوم الامبريالية الصهيونية في عقر دارها.

5.4. صورة المثقف البطل

كان سعيد دائما يقدّم أفكاره بكلّ صراحة وبكلّ جرأة من أجل المعرفة الخالصة والعلم المجرّد، يقول سعيد: "كلّ مثقف مهنته هي إيضاح وتقديم أفكاره ووجهات نظر وإيديولوجيات محدّدة، يطمح منطقيا إلى إنجاحها في المجتمع. والمثقف الذي يدّعي الكتابة فقط لذاته الخاصة، أو لأجل المعرفة الخالصة، أو العلم المجرّد لا يجب أن، ويجب ألاّ، يصدّق." (سعيد، الآلهة التي تفشل دائما،ترجمة:حسام الدين خضور، 2003، صفحة 27) لأنّه مثقف مداهن للسلطة ولا يقول كلمة الحقّ ولا يناضل من أجل الحريّة والعدالة والمساواة، بل يجب على المثقف أن يتحدى السلطة ولا يكون خائنا لأبناء جنسه، يقول سعيد موضّحا هذه الفكرة "فالمفكّرون الحقيقيون أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم حين تدفعهم المشاعر الميتافيزيقية الجيّاشة والمبادئ السامية، أي مبادئ العدل والحقّ، إلى فضح الفساد، والدفاع عن الضعفاء، وتحدي السلطة المعيبة أو الغاشمة." (سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة وتقديم: محمّد عناني، 2006، صفحة 36) وهذا هو المثقف العضوي الفعّال في مجتمعه يحاول إصلاحه وبثّ الحماس فيه وسيظل مفكّرا هامشيّا، لأنّ أفكاره الجديدة جعلته يعيش في منفى حقيقي، يقول سعيد: "والمنفى يعني أنّك ستظلّ هامشيّا على الدوام، وأنّ ما سوف تنجزه باعتبارك مثقفا لابدّ أن تبتكره بنفسك لأنّك لا تستطيع إتباع سبيل (مقرّر) سلفا." (سعيد، المثقف والسلطة ، ترجمة وتقديم: محمّد عناني، 2006، الصفحات 113-114) لأنّ التقليد يساهم في جمود الفكر وتحجره وبالتالي يعيش الانسان أسير التقاليد البالية.

حاول سعيد وهو يكتب سيرته الذاتية أن يتحدى المرض الخبيث الذي أصابه وأنهك جسده النّحيف، يقول سعيد: "هذا الكتاب هو سجّل لعالم مفقود أو منسي. منذ عدّة سنوات، تلقيت تشخيصا طبيّا بدا مبرما. فشعرت بأهميّة أن أخلّف سيرة ذاتيّة عن حياتي في العالم العربيّ، حيث ولدت وأمضيت سنواتي التكوينية،كما في الولايات المتحدة حيث ارتدت المدرسة والكليّة والجامعة، العديد من الأمكنة والأشخاص التي استذكرها هنا لم تعد موجودة، على الرغم من أنّي أندهش باستمرار لاكتشافي إلى أي مدى أستبطنها، وغالبا بأدقّ

تفاصيلها بل بتشخيصاتها المروّعة." (سعيد، خارج المكان، ترجمة: فوّاز طرابلسي، 2000، صفحة 19) فالكتابة نوع من السفر نحو العوالم الحالمة التي تجعل الإنسان يشعر بالسعادة والأمل والتفاؤل حتى وهو في أتعس اللحظات تطارده الكآبة في كلّ ساعة وحين ومن هنا يحاول أن يجنح نحو الكتابة لعلّه ينسى همومه ويقهر مرضه الذي أصابه على حين غفلة منه.

6.4. صورة المثقف المدافع عن العروبة والإسلام

لقد دافع سعيد وهو مسيحي أرثوذكسي عن العروبة والإسلام بكلّ ما أوتي من حجج عقلية، لأنّ صورة العربي المسلم شوّهها الإعلام الغربي وألصق به تهما هو بريء منها كالتخلّف والهمجية والإرهاب، ويرسم لنا سعيد صورة العربيّ في أمريكا وهي كالآتي: "هناك بعض النماذج التي توضّح كيف يمثّلون صورة العربي اليوم في أمريكا، وسوف تلاحظ السهولة التي يبدو أنّ (العربي) يقبل التحوّل بها إلى صور تمثّله وتختزل حقيقته – وكلّها صور مغرضة وحسب – وانظر كيف يفرضونها عليه فرضا." (سعيد، الاستشراق،المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة:محمّد عناني، 2006، صفحة 436) لأنّ إعلامهم غير موضوعي ولا يرى الأشياء على حقيقتها المطلقة، فالعربي المسلم أو المسيحي عندما يذهب إلى أمريكا يصبح مبدعا في جميع الحقول التي يتقنها والأمثلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها.

فالغربيون اتهموا الإسلام بأنّه دين جمود وفيه جميع الشرور والإسلام بريء من جميع هذه التهم الجائرة" فمصطلح (الإسلام) لديهم يشمل، فيما يبدو، جميع جوانب العالم الاسلامي الشاسع المتنوّع، واختزالها جميعا في جوهر خاص يضمر الشّر ولا يعرف التفكير." (سعيد، تغطية الاسلام،ترجمة: محمّد عناني، 2005، الصفحات 76-77) وهذه نظرة عنصرية اتجاه الإسلام تحمل كلّ الحقد والكراهية ضدّ كلّ مسلم مبدع، فالإسلام دين يدعو إلى الحداثة وإلى التّنوير، يقول سعيد: "الحركة التي تدعى هذه الأيّام بالأصولية ليست هي النموذج الإسلامي الوحيد. هناك نماذج أخرى متنوّرة ومتسامحة يمكن أن تساعد على إلهام الانجازات العظيمة للحضارة الإسلامية في الماضي. ونحن نأمل أنّ هذه النماذج سوف تنتصر مع مرور الوقت." (لويس و سعيد، 1994، صفحة 31) لأنّ الإسلام دين يدعو إلى التّسامح والإنسانية والحوار بين الثقافات والأديان فهو دين عالمي يروّج لقيّم عالمية راسخة في كلّ إنسان وجد على هذه البسيطة.

خاتمة

بعد مناوشتنا لموضوع بحثنا هذا نكون قد خرجنا بالنتائج الآتية:

- إدوارد سعيد مثقف عانى الاغتراب الفكري لأنّه عاش بين ثقافتين متناقضتين وحاول التوفيق بينهما قدر المستطاع.
- إدوارد سعيد مثقف له ولع بالموسيقى والأدب والفنّ منذ كان في القدس وفي القاهرة وفي لبنان وفي الولايات المتحدة الأمريكية.
- إدوارد سعيد مثقف منغلق على ذاته خاصة عندما كان في القدس وفي القاهرة وفي لبنان أمّا إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية هي التي جعلته ينفتح على الآخر.
- إدوارد سعيد مثقف ثائر على كلّ أشكال الاستعمار والامبريالية العالمية وجعل من قضية فلسطين قضيته الأولى.
- إدوارد سعيد مثقف بطل يقدّم أفكاره بكلّ وضوح وبكلّ جرأة وبكلّ صراحة لا ينافق ولا يتملق أيّ سلطة مهما كان نوعها أو لونها.

– إدوارد سعيد مثقف مدافع عن العروبة والإسلام لأنّه يرى في العروبة أصله ومحتده ويرى في الإسلام الحداثة والتّنوير والفكر الجديد.

قائمة المراجع

1- سعيد، إ. (2005). تغطية الإسلام. القاهرة، مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع.

2- سعيد، إ. (1996). تعقيبات على الإستشراق. بيروت،لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

3- سعيد، إ. (2006). الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق. القاهرة،مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع.

4- سعيد، إ. (2003). الآلهة التي تفشل دائما. بيروت، لبنان: دار التكوين.

5- سعيد، إ. (2000). خارج المكان. بيروت، لبنان: دار الآداب.

6- سعيد، إ. (2006). المثقف والسلطة. القاهرة، مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع.

7- عبّاس، إ. (1992). فن السيرة. عمّان، الأردن: دار الشروق.

8- لوجون، ف. (1994). السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

9- سعيد، إ. (1998). القلم والسيف، حوارات مع دافيد بارساميان. دمشق، سوريا: دار كنعان.

10- سعيد، إ. (1996). صور المثقف. بيروت،لبنان: دار النهار.

11- لويس، ب. ، و سعيد، إ. (1994). الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربيّة من وجهة نظر أمريكيّة. بيروت، لبنان: دار الجيل.

12- شاكر، ت. ع. ا. (2002). السيرة الذاتية في الأدب العربي،فدوى طوقان وجبرا إبراهيم جبرا وإحسان عباس نموذجا. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

13- علّوش، س. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة). بيروت، لبنان/ الدار البيضاء، المغرب: دار الكتاب اللبناني/ دار سوشبريس.

14- سعيد، إ. (2006). الثقافة والمقاومة،حوار مع دايفيد بارساميان. بيروت، لبنان: دار الآداب.

15- هارت، و. د. (2011). إدوارد سعيد والمؤثرات الدينية والثقافية. أبو ظبي: داركلمة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

16- سعيد، إ. (2011). خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة. دمشق، سوريا: دار نينوى.